# عروس الماء

## أقصوصة مصرية

بقلم الأستاذ دريني خشبة

كانت تجلس وحدها على صخرة فريدة من تلك الصخور الوردية التي تشرف على هذا البحر القديم الكريم المقدس ، بحر الأزلم كما كان يسميه العرب ، أو البحر الأحمر كما تسميه الطبيعة والشعر ، لأنه بحر الزبرجد والعقيق والمرجان ، وبحر الجمال والذكريات والجواري المنشئات !

وكانت الشمس تهبط إلى الأفق ، متأججة في السحائب المنتثرة في سماء السويس الساحرة ، فتوشي أذيالها بالشفق ، وتنثر في اللجة دنانير الذهب ، وتسكب في حواشيها ذوب اللجين ... ثم تحور الطبيعة كلها هيكلا لتلك الراهبة الصامتة ، الجالسة فوق الصخرة الفريدة تفكر ساهمة ، وتتملى من جمال الله ووحدانيته ، وتمجده في هذه الآثار الجليلة الجميلة الكاملة التي أبدعتها يده ، وبرأتها قدرته ، فهي عندها الدليل عليه ، والوسيلة إليه ...

وكان النسيم الرخي يهب في أنفاس المغرب كأنما عرته هزة من ذكريات موسى حينما لمح المصرية الجميلة الرائعة تشرف على بحره القديم الكريم المقدس فيكاد يكون فرقين لتخوض بينهما فتلعب بحصباء دره ، وتلهو بمكنون مرجانه ...

كانت تنظر بعينيها النجلاوين في الموج المضطرب وكان النسيم يداعب شعرها الأسود الفاحم المنسدل ليسرق عطره ، وينشره في ذلك الكون العظيم أرجاً ينعش النفوس بالأمل ، أو يكون للضالين قبسة من سيناء !

ترى لماذا أرسلت هذا الدثار الأسود الحزين ، فوق تلك الشفوف البيض الحريرية ؟!

ترى لماذا جلست وحدها فوق تلك الصخرة الفريدة النائية عن السويس ، في تلك الساعة التي توشك أن تنام فيها الطبيعة ؟

كل شيء ساكن هادئ إلا خرير الماء ورشاش الثلج

الشمس تاج أبواب المغرب ، والبدر يذر من بيبان المشارق ...

الشمس تختم كتاب النهار ... والبدر يغني أنشودة الليل ...

فيا ترى لم جلست هذه الحسناء وحدها هناك ... فوق تلك الصخرة الفريدة ؟

فيم تفكر ؟

أوه ! إنها تبكي !!

يا لله ! ألا ما أجمل الدموع في عيون العذارى ؟ ألا ما أجمل العذراء تبكي وحدها في دنيا جميلة كهذه من شفق وبنفسج ونسيم وبر وبحر وأرض وسماء وليل مقبل ونهار مول ؟

فيم تبكي يا ترى ! ألا ما أغلى هذه الدموع التي تنسكب من هذه العيون ؟!

إسمعي يا طبيعة ! إن عذراءك تغني :

«ما أقساك أيها البحر ، لم قتلت حبيبي ؟»

إنها تسرد مأساة غرامها ، وها هي ذى تنقم من بحر موسى ما أطبق موجه على ابن فرعون !

مسكينة أيتها العذراء ، لقد تخضب مرجان البحر بدماء حبيبك ، وتفتحت أصدافه تتلقف أنفاسه ليكتسب الدر سناءها !

كان علوى يذرع رمال الشاطئ فى هذه الهدأة الرائعة من مغرب السويس ، حينما لمح الفتاة الباكية تجلس وحدها فوق الصخرة الفريدة ، ترسل فى أطباق الموج نظراتها الندّاة

لقد أحس الشاب بعاطفة قوية تجذبه إلى حيث جلست الفتاة ، فهرول كالشبح بين الكثبان الناعمة حتى كان قاب قوسين من صخرتها ، فجلس فى كن يسمع إلى بكائها وغنائها ، فاذا البكاء والغناء قصة حب دامية ، وإذا الفتاة قد أقبلت من جهة بعيدة نائية تصلى من أجل حبيبها ، وتذرف الدموع حارة سخينة على ذكراه !

ولقد كان علوى ينظر إلى الفتاة من كِنّه ، فيراها ملاكا نورانياً صورته يد القدرة فى نسيم البحر الأحمر ، أو طبعته فى أديم سمائه ؛ وكانت جلستها جلسة شعرية ، لأنها لم تكن تلتفت حولها يمنة أو يسرة ، بل كانت تثبت عينيها فى لجة واحدة .. وتبكى ! وبكاء عذراء تجلس وحدها فوق صخرة موحشة من صخور هذا البحر ، شيء يثير الفضول فى فؤاد العابر ، وخاصة إذا كان فى مثل شباب علوى المشبوب

لقد لمح علوى جمالاً يثير الألم فى النفس . . . جمالا غامضاً من ذاك الجمال النادر الذى يخلقه الله كما يخلق المعجزات

وجه حزين ، بيد أنه جميل فتان رائع .. وجسم شفه الوجد وأضنته الأحزان ، بيد أنه أهيف ممشوق يتثنى . . . وثوبان ، أما أحدهما فأبيض كالنهار وأما الآخر فأسود كالليل ، يتهدل فوقهما شعر فاحم خلق للحب ولم يخلق للأحزان !

وعجب علوى لغناء الفتاة ، لأنه كان يتشقق عن نفس باكية ، وروح وفية ، فى صوت بللته الدموع ، وأنفاس صهرتها نيران الألم ، وعاطفة مكبوتة محبوسة لا يفرج عنها الشدو إلا قليلا

ثم صمتت الفتاة فجأة ، لأن القرص الملتهب أخذ يستتر رويداً وراء الأفق ؛ ونضت ثوبها الأسود فى هدوء وتؤدة ، ونزعت حذاءيها ، وكشفت عن ساقيها ، فاختلط بياض الحرير ببياض اللحم الوردى

وقبل أن يختفى القرص الملتهب كله ... أو حين لم يبق منه إلا هذه البضعة التى تحكى الجرح فى كف الأفق ... تجردت الفتاة من ثوبها الأبيض كذلك ثم وقفت عروساً من عرائس الماء مادة ذراعيها نحو البحر ... وهبطت إلى الماء فجأة فغاصت فيه

وأفاق علوى من الطلسم الذى سحر قلبه حينما شهد الفتاة تتجرد من ثوبها ، وذكر أن هذا الجزء من الشاطئ هو أخطر الجهات للاستحمام ، لكثرة مابه من الصخور المؤذية ، وما يأوى إليه عادة من حيوان هذا البحر ليستخفى فيه ... وإن تكن تلك خرافة انتشرت بين أهل السويس ، لم تؤيدها حجة ، ولم يقم على صحتها برهان

ذكر ذلك علوى فبرز من مخبئه على عجل ... ونضا ثيابه على عجل كذلك ، وكانت فكرة جديدة من ألوف الأفكار التى ترد فى الخاطر فى مثل تلك اللحظة تزيد فى عجلته ، وتضاعف نشاطه ، حتى

لأوشك أن يرتبك وهو يخلع ثيابه ، فكان لا يبالى تقطيع أزراره أو تمزيق إزاره ... ذلك أنه حسب أن الفتاة قد فعلت فعلتها لتنتحر ، وقد كان غناؤها الحزين يعني ذلك ، لأنها ذكرت أن تلك اللجة فى ذلك المكان عند هذه الصخرة ، كانت قبر حبيبها الذى غيبه البحر فى أحشائه ، غير راحم شبابه ... لذلك ارتبك علوى ارتباكا شديداً قبل أن يقذف بنفسه فى اليم لينقذ الفتاة الجميلة البارعة التى ضاقت بها الحياة بعد حبيبها ، فبادرت إلى الانتحار فى المكان نفسه ، وفى البحر نفسه ، وفى هذه الهدأة الرائعة من مغرب السويس نفسها

وسبح علوى ...

ثم سبح ... بيد أن البحر الذى يخضع للغيد الحسان النواعم ، هو البحر نفسه الذى يأبى أن يقهره أحد من ذكران البشر ، ولو كان فرعون ومن وراء فرعون جنوده ! لذلك لم يدر علوى لم ثار العباب حوله وفار ، واصطخب الموج وأرغى الزبد

وهزئ الشاب الفتى أول الأمر ، ثم مضى فى سباحته قدما ، غير أن البحر هزئ هو أيضا ، ثم جرجرت حول علوي أمواجه ، وأزبدت من فوقه أثباجه ، حتى غدا الليل فى عينيه ليلين ، وإن كان للبدر السافر قد صار هو الآخر فى روعه بدرين ، بدراً فى السماء وبدراً فى الماء !

وعجب علوى لطغيان البحر وشدة مراسه ، ورجع بذاكرته إلى ألوف المرات التى خاض فيها عبابه ، فلم يذكر أنه عنا مثل هذه المرة ، ومثل ذاك العتو ...

ثم سبح ولم يبال ...

وبلغ بعد إعياء وبعد جهد ، جزيرة من الصخر قريبة من سطح الماء ، فوقف فوقها منهوكا مكدوداً ، لا يكاد يملك نفسه من التعب

وكان القمر المصرى الجميل قد أخذ يسكب فضته فوق الكون الهامد إلا من جرجرة الموج حول الصخرة التى وقف فوقها علوى الحائر ...

فيا ترى ؟ هل يسخر القمر بعلوى ، كما سخر به البحر ؟ !

أين الفتاة يا ترى ؟

لقد راح المسكين يبحث عنها بعينيه المرتعشتين فى آفاق الماء ... لكنه لم يجد شيئاً ، غير لجة عند لجة عند أخرى . . . !!

هل غرقت ؟

ولم لا يكون ذلك ؟

إن هذا بحر تغرق فيه الجن ، فما بال فتاة طرية حزينة كعود القصب الرقيق !

أخذ علوى طائف من الحزن والوجوم وأخذت الوساوس تعصف فى قلبه ، وشعر كأن كنزاً بأكمله من السعادة والهناء قد أفلت من يديه .. وراح وهو فوق الصخرة ، وحوله هذا الموج المفترس ، يستعيد رجع الغناء الذى ملأ أذنيه فوق الشاطئ ، فلا يذكر أنه سمع مثله فيما عاش حلاوة وطلاوة ولا سحراً .. ولا إيجاعاً كذلك !

وطفق يحدث نفسه حديثاً طويلا مؤسياً ...

« واأسفا عليك يا فتاة ؟ ليتك عشت لى ؟ ليتك عرفتنى قبل أن تلقى بنفسك فى هذا الثلج الصخاب هل حسبت أن الدنيا أقفرت من القلوب بعد حبيبك ؟ ! أى قلوب العالم لا تتفتح كالزهر لتنشق أنفاسك ؟ هلمى إلى من الماء يا عروس الماء ! عودى إلى الحياة فهى أحفل من قاع البحر بحبيبك

والمغرمين بك ، وعباد جمالك ! إن حبيبك الذى تحسبينه قد ثوى كالدر فى أصداف هذا اليم ، هو هنا ! هنا ، فوق هذه الصخرة، وهو يكلمك الآن، إنه ليس هناك فى القاع يا فتاة فعودى ! عودى إلى الذى لا يعرف اسمك ، وإن كان قد انطبع فى فؤاده رسمك ! عودى فان فى قلبى لك جنة موشاة بأزاهير حبك ، وهى فى حاجة إلى الأنفاس المبقة التى يردها فلك الجميل الشادى ! لم كرهت الدنيا وشيكا هكذا ؟ ألأن قلباً واحداً من ملايين القلوب التى تخفق بحبك قد أودى ، فانك تهجرين الدنيا من أجله ؟ أو قد كنت تخلصين له إلى هذا الحد ؟ ما أسعده حياً وميتاً ؟ ترى من هو يا فتاة ؟ أو هكذا تحسين حلماً فى خلدى بعد إذ كنت حقيقة ملء ناظرى ؟»

وكان الريح قد هدأ ، والموج قد تطامن إلا قليلا والبدر قد ارتفع بضعة أمتار فوق الأفق ، وكان علوى قد يئس من العثور على الفتاة ولو جثة هامدة تطفو على اليم ... وكان قد سرت فى كيانه رعشة من البرد والحزن والخوف، فاعتزم أن يعود إلى الشاطئ

وقبل أن يخوض الماء ، سمع خلفه هاتفاً يقول : « هل السيد فى حاجة إلى معاونة ؟ »

وتلفت علوى مذهولاً ، فرأى الفتاة معلقة بنتوء من صخرته ، وجسمها الجميل يلمع فى فضة القمر، فخفق قلبه خفقة شديدة لهذه المفاجأة ثم قال :

— أهى أنت ؟

— ... ؟ ...

— ألم تغرق ؟ أما تزالين حية ؟ ما أسعدنى ؟ !

— ماذا ؟

— لقد كنت أبكى قبل لحظة من أجلك !

— من أجلى أنا ؟ ... من أنت ؟

— أنا ... أنا ... علوى ؟ وأنت ؟

— علوى ؟ ... من علوى ؟

— أجل ... أنا علوى ... أنا والله علوى الذى كاد يهلك فى هذا العباب من أجلك ! ألا تريدين أن تذكرى اسمك ؟ إذن لماذا كنت تبكين ؟

وبرزت الفتاة من الماء فوقفت فوق الصخرة ، وراحت تقلب فى وجه علوى عينيها الحالمتين ... ثم أشاحت فجأة ، وصرخت قائلة :

— كلا ... لست أنت علوى ... هذا حلم ... هذا ... باطل !

ثم أهرعت إلى اليم فأعملت فيه ذراعيها

ولم يتوان علوى ، بل قذف بنفسه فى اللجة ، وانطلق يسابق الفتاة إلى الشاطئ ... وقد نشط هذه المرة ، وتدفقت القوة كالحديد فى أعصابه ، وأحس كأن الماء الذى كان كالثلج قبل لحظة ، قد صار حماماً ساخناً

وبالرغم مما عراه من فجأ وتلهف ، فقد ذهب بأكل هذا الجمال الماثم بعينيه الجائعتين ، ويملأ رئتيه بذاك الأرج الذى أخذ يتضوع بالحب فوق البحر وتحت القمر ...

وكان علوى أسبق من الفتاة إلى الشاطئ ، فوقف عنده ينتظرها ...

وقالت له وهى فى الماء

— إذا أنت ظللت واقفاً هكذا فسأعود !

— تعودين ؟ وإلى أين ؟

— إذهب أرجوك !

— بل اخرجى وأنا خادمك ... إنى أحبك حياتى تسير فى ركابك حتى تبلغى مأمن المدينة !

— أشكرك ... لا حاجة بى إلى أحد !

— وكيف ؟ إن هـذا مكان موحش ، وإن الطريق لمقفر ، ولا بد أن أصحبك إلى المدينة ... أو إلى حدودها على الأقل ! أتعرفين لم تزل وراءك إلى البحر ؟

— لتغرق ؟ أليس كذلك ؟

— بلى ! لقد كدت أغرق والله !

— لقد رأيتك تجاهد الموج ، ولولا أنك كنت قريباً من الصخرة لأنقذتك ... فاذهب مشكوراً إذن !

— ولكنك تضرين نفسك بالبقاء هكذا فى الماء . فلم لا تخرجين ؟

وبرزت الفتاة من الماء فازلزل فؤاد علوى ... ثم تواثبت كالقطاة فوق رمال الشاطىء حتى كانت دون الصخرة ، فقفزت قفزتين أو ثلاثا فكانت فوقها ...

وانثنت تفتح حقيبتها فأخذت فوطة فمسحت بها جسمها البض المرتجف ... وهنا ... نظر إليها علوى وهو فوق رمال الشاطىء ينتفض من برد الليل ، ففهمت سؤله ، وقذفته بالفوطة فتلقفها باسما ، وبدلا من أن يجفف بها جسمه المرتعش ، دس فيها وجهه ، ولا يعلم إلا الله ماذا كان يصنع ، وأى أنفاس حرار كان يردد ، ولا أى دموع كان يذرى ويسكب !

ولبست الفتاة ثوبها الأبيض الناصع الذى زادته أشعة القمر بهاء وسناء وجاذبية ، ثم أضفت عليها من ثوبها الأسود ، واستدارت لترى هل انتهى علوى ... فلما رأته واقفاً تحت هـذا الليل الفضى والرياح تساوره ، وقطرات الماء تداوره ، هبطت كالحمامة من فوق صخرتها واقتربت حتى كانت تلقاءه ثم وقفت صامتة ساكنة ولم تحر ...

ومد علوى يديه المتداعيتين بالفوطة آخر الأمر ثم قال :

— أشكرك !

— وأين ثيابك ؟

— وراء الصخرة السعيدة !

— الصخرة السعيدة ؟ ماذا تعنى ؟

— الصخرة السعيدة التي كانت تحملك إذ أنت تبكين وتئنين !

— أوه !

ونهدت الفتاة فكانت فوق الصخرة ، ثم استدارت حولها . فاكتشفت الكن الساكن حيث ملابس الشاب ، وحيث كان يختبي ويسترق السمع والأنين . والبكاء . والسر !

وعادت تحمل ملابسه جميعا فوضعتها على الرمال تلقاءه ثم قالت له : « هـذه ملابسك فينبغى أن تلبسها وإلا عرضت نفسك لخطر البرد . أما فوطتى . »

ولم تكمل عبارتها ، بل أطلقت ساقيها لنسيم البحر فكانت فوق الصخرة ، وحملت حقيبتها وانطلقت لا تلوى على شىء ...

* * *

وجفف علوى ما تبقى على بدنه من قطر ، ثم هرول فوق الشاطىء وملابسه فى يده ، وانطلق يعدو فى إثر الفتاة ... وكان مع ذلك يدس إحدى ساقيه فى جزء من سرواله — أى بنطلونه — ثم يخطو فيتعثر ، ويقف فيدس الأخرى فى مكانها الآخر من السروال ، ثم يعدو ... ويدس ذراعه فى كم القميص ، ويهطع ، ثم يدس الذراع الثانية فى الكم

الآخر، وهكذا. حتى لم يبق فى يده إلا حذاؤه !

ضحك علوى حين رأى نفسه يقتنى أثر معبودته الفاجئة وفى يده حذاؤه ! فتركه على الصخر وانطلق كالظليم وراءها .

— ما هذا ؟

إن الفتاة تقفز فى سيارة كانت تنتظرها عند هامش الصحراء فى أول الطريق الموصل إلى طريق القاهرة ...

ولمح علوى ذلك ، فكاد يصعق وتتخشب ساقاه ، فلا يستطيع عدوا بل لا يستطيع حراكا ... لكنه صمم على أن يلحق بها . لأنه أحس بشىء غريب يمتزج بدمه ، ويجرى دفاقاً فى عروقه ... وأحس أيضاً أن القدرة التى حرمته كل هذه السنين الطوال نعمة الحب ، قد فتحت له جنة الحب فجأة يتفيأ منها حيث يشاء فاذا هربت هذه الفتاة فستغلق أبواب الجنة ، ويظل إلى الأبد طريداً منها ، يطوف بأعرافها ، ولا يناله من نعيمها شىء ... فجرى ، ثم جرى ، وظل يجرى كالمجنون ، وكان يسب الأرض لأنها لا تنطوى بسهولة تحت قدميه ، وظل يدعو الله أن ينبت له فى ظهره جناحين أو ثلاثة أو أربعة ... أو أجنحة لا عدد لها ، ليبلغ السيارة قبل أن تهم ...

ولم يقبل الله دعاءه طبعاً ... فلم تنبت له أجنحة بيد أنه مع ذاك قد بلغ غايته ... وقبل أن تتحرك السيارة ، استطاع أن ينطرح أمامها لتقف ... أو لتقتله ... وهل أشهى فى هذه الدنيا من قتلة بسيارة تحمل حبيباً كهذا الحبيب !

وتبسمت الفتاة ... وأوقفت الماكينة ... ثم نزلت لترى ما خطب هذا الشاب !

— أوه ؟ ماذا تريد ؟

— أريد أشياء كثيرة

— أريد أن أعرف

— قبل كل شىء أحب ألا تعبسى هكذا ؟ هل أنت غضبى ؟

— وكيف لا أغضب وقد حصل منك كل ما حصل؟

— وماذا حصل منى جعلت فداك ؟

— ألم تختبئ لتسرق سر فتاة ؟

— الصدفة والله فعلت هذا !

— ولماذا نزلت البحر وأنت لا تحسن السباحة ؟

— أنا أحسن السباحة جداً ، وقد فعلت فعلتى هذه لأنقذك ؟

— لتنقذنى ؟ وماذا ظننتنى أصنع ؟

— حسبتك ...

— حسبت ماذا ؟

— حسبتك عولت على الانتحار ؟

— وماذا يجعلنى أنتحر ؟

— ألم تكونى تغنين وتبكين وتذكرين حبيباً لك ... أوه ؟ معذرة ؟...

— آه ! إنها أغنية يا هذا ؟

— أنا لست (هذا) .. أرجوك .. لقد ذكرت لك اسمى ؟

— آه ! اسمك ... علوى ... أليس كذلك ؟

— هو ذاك . . . ويقينى أنه كان يسمى علوى[1] أيضاً

— كان يسمى علوى ؟ ومن هو يا ترى ؟

---

(١) نعتذر عن منع الأعلام من الصرف فى كل قصصنا

— الشاب السعيد الذى غرق فى البحر

— لقد بدأت تمزح !

— كلا والله ، إنى ما إلى المزاح أردت !

— إذن كيف يكون سعيداً من يغرق ؟

— أى مخلوق يرزقه الله نعمة ... حبك ... يكون أسعد خلق الله ولو غرق ؟

— حقاً إنك شاب جرئ ...

— لست جريئاً ولكنى ...

— ولكنك ماذا ؟

— ولكنى أقول الحق !

— إنهض ... لقد أرويت الرمال بالدم المتصبب من قدميك ؟

— دم ؟ ... أوه ؟ ... ليتنى سفكت دمى كله تحت قدميك !

— ما شاء الله ؟ كيف تستبيح لنفسك أن تخاطبنى هكذا ؟

— وكيف أخاطبك إذن ؟

— كما يخاطب الناس أناساً لا يعرفونهم ؟

— غير أننى أعرفك !

— تعرفنى ؟

— ولم لا ... لقد كان غناؤك وحيا تنزل على فؤادى فحفظته عن ظهر قلب ... لقد حفظت قصتك كلها ... أتأذنين بسماعها ؟

— وهل تؤمن أن ما غنيت قصة ؟

— بل أومن أنها حقيقة لا ريب فيها !

— فلم إذن لا تحترم قدس الموت ؟

— قدس الموت ! أوه ! ما أبشع أن يذكر اسم الموت ههنا ؟

— لأنك رجل أنانى !

— لا والله يا أختاه ، لكنى أشفق على شبابك وجمالك أن يستسلما ليد الذبول فتذوى زهرتك وهى أعبق ما تكون ، ويصوح ربيعك وهو بعد فى إبانه !

— أشكرك ... ألا تتركنى أنصرف إذن ؟

— تنصرفين ... وأنا ؟

— وأنت ماذا ؟

— أين أذهب ؟

— إلى بيتك !

— ليس لى بيت ... لقد خرجت اليوم من صدفة !

— أرجوك ... أنا لا أحتمل الدعابة !

— دعابة ؟ أية دعابة يا ... يا عجباً ! ألا أعرف اسمك ؟

— هذا مستحيل !

— ولم ؟

— لأنى أقسمت ألا أخونه !

— أقسمت ألا تخونى من ؟

— لقد عرفته ...

— ألم أقل لك ؟

— ألم تقل لى ماذا ؟

— ألم أقل لك إن اسمه علوى !

— حقا ، لقد كان اسمه علوى ...

— ولماذا غرق إذن ؟

— كما أوشكت أنت أن تغرق !

— ليتنى غرقت ... ليتنى غرقت !

— ولم تتمنى ذاك ؟

— لأنى أوشك أن أقنط من ...

— مم ؟

— من إقناعك !

— إقناعى بماذا ؟

— بجمال هذه الدنيا وكثرة مباهجها ...

— فاذا غاب منها شخص لم تعد جميلة كما تحسب ...

— هذا وهم ، ويجب أن تعالجه بالنسيان !

— أجل ، سأعالجه بأن أنسى كل شيء ... إلا ذكراه ! آه يا علوى ! آه يا حبيبي ! تعال الآن من قاع هذا البحر المفترس فانظر كيف يريد الناس أن ينسخوك من ذاكرتى ! الناس الأنانيون الذين لا يحترمون قدس الموت ، ولا تقشعر لهولهم فرقاً لذكره ! لقد صارت الدنيا بليدة من بعدك يا حبيبي ها هو ذا رجل ... لا يريد أن تخلص فتاة لالفها الذى أخلص لها حتى الموت ... الذى ضحى نفسه وشبابه من أجلها ... ما أقبحك أيتها الدنيا ! لقد شوهتك أنانية الانسان ! لقد كنت قبل آدم جميلة ساذجة طهوراً فلطخ وجهك بأوحاله

تنح أيها الشاب ! لقد كنت أحسب دماءك هذه دماء نقية ... لقد كنت أرثى لك وللبحر يلفقك ... لقد خدعت فى دموعك التى ذرفتها من أجلى فوق رمال الشاطئ ، وكنت أرجو أن أعثر فى روحك على صديق ، فاذا الشيطان القذر يتحدر فى صلبك من أيام آدم

— أختاه ... أرجوك ؟

— علام تساومنى ؟ على قلبي ؟

— بل أنا ضحية أخرى من ضحاياك

— أسكت فانى ليس لى ضحايا ... إنك تدنس دمك ودموعك بهذا المراء ! كيف تستبيح لنفسك التلصص على فجائع القلوب

— التلصص ! أوه ! إنك تهينينى !

— وأنت أهنت ذكرى حبيبى ، وآلمت روحه !

— إذن ، فأنا أعتذر

— إذن ، تنح ، فقد طال حوارنا ، وأريد أن أبلغ القاهرة فى ميعاد لا أحب أن أعدوه

وتنحى علوى ... وقفزت الفتاة فى السيارة .. وقبل أن تغلق بابها نظرت إلى الشاب نظرات غامضة لم يفهم منها إلا أنها تدعوه . فتقدم خطوات ووقف كالشبح .. فمدت إليه يدها الناعمة الخصبة ، فتناولها فى يديه جميعاً ، ثم أهوى عليها بفمه المرتعش يطبع فوقها عشرات القبل ، وينثر عليها قلبه وروحه ودموعه ...

ثم مدت يدها الأخرى فربتت بها على شعره الأشعث ، وخديه البللين ، وجذبته إلى جانبها فى السيارة .

— آه يا قاسية !

— لتنس !

— وما اسمك إذن ؟

— اسمى ... ستعرفه فى القاهرة !

— فى القاهرة ؟

— أجل ... هناك !

— لقد تركت هنا ...

— طربوشك وحذاءك ؟ أليس كذلك ؟

— بلى !

— نشترى غيرهما من هناك ؟

... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...

وأقيم فى السويس سرادق فخم حاشد ، وأقبل الناس من كل فج يعزون والد علوى ... أليس قد غرق ؟ أليس هذا طربوشه وهذا حذاؤه ، وهذه فوطة ملقاة على الرمال !

وكان من بين المعزين علوى نفسه !

لقد أقبل هو وأسماء فى الليلة التالية ليزفا إلى أبيه البشرى السعيدة ... لقد خطبها !